مجلة النخبة للدراسات والأبحاث

الإصدار الثالث – العدد الثاني – البحث الثاني

10 / شباط / 2024م

Jordan - Amman
ejsr@alno5ba.com
www.ejsr.alno5ba.com

"الدراسات العبرية واليهودية بالجامعة المغربية: دراسة تأريخية"

إعداد الباحث :الدكتور عبد الرحيم بن داود

دكتوراه تخصص دراسات لغوية مقارنة

جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مراكش (المغرب)

الملخص:

يعود التواجد اليهودي بالمغرب إلى فترات مديدة غير قابلة للتذكر،" ويعتبر اليهود تاريخيا أول مجموعة غير بربرية وفدت على المغرب وما تزال تعيش فيه إلى يومنا هذا[1]"، حيث لا زال هذا المجتمع اليهودي يحافظ على هويته، ويندمج في النسيج الاجتماعي المغربي، عبر تعايشه السلمي مع جميع مكونات هذا المجتمع. وقد توزع اليهود في أنحاء المغرب جميعها، واستقروا في مناطق جغرافية مختلفة، لاعتبارات وعوامل سياسية ودينية وأيديولوجية. فمنذ 1948 و 1961 تقاطرت على المغرب موجات من الهجرة اليهودية حيث تدفقت للقرى الصغيرة، واستقر العديد منهم في مجموعة من الأحياء تسمى بالملاح[2].

ولئن كان هذا المكون الهوياتي اليهودي الوطني قد أثبت حضوره منذ ألفي سنة على مستوى الثقافة المغربية، فان هذا التراث اليهودي قد ظل غير معروف بالنسبة لجيل صاعد من المغاربة بما فيهم بعض رواد الجامعة، ومن ثمة كان من الضروري التعريف بهذا المكون التراثي ومعرفة حقيقة بنية هذا المجتمع اليهودي وتاريخه وحضارته ، وبناء على ذلك سنحاول في هذا المقال مقاربة مدى حضور الدراسات العبرية واليهودية في الجامعة المغربية، كما سنقف عند بعض المجهودات التي بذلها ويبذلها الباحثون في سبيل الحفاظ على هذا التراث.

الكلمات المفاتيح:العبرية، اليهود، الجامعة، التراث، المغربية

Summary:

The Jewish presence in Morocco goes back to long and forgotten periods. “Jews are historically the first group of non-Berber to come to Morocco and they are still living here until today”. The Jewish community still maintains its identity and it was integrated into the Moroccan society because of its peaceful coexistence with all components of the society.

Jews have spread throughout all Morocco, settling in different geographical regions, due to political, religious and ideological considerations and factors. Since 1948 and 1961, waves of Jewish immigrants came to Morocco and poured into small villages. Thus, many of them settled in a group of neighbourhoods Called “Mellah”.

While this component of the national Jewish identities has proven its presence two thousand years ago at the level of Moroccan culture. The Jewish heritage has remained unknown to the coming generation of Moroccans, including some of the university’s researches. As a result, it was necessary to introduce this heritage and know the reality of the Jewish community, its history and civilization, and accordingly we will try in this article to approach the existence of Hebrew and Jewish studies at the Moroccan Universities, as we will shed lights on some of the efforts made by researchers in order to maintain this heritage.

[1] ألف سنة من حياة اليهود ثقافة، تاريخ، دين، ترجمة أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء 1987 ص 9

[2] وهو الحي اليهودي الذي يحيطه سور وله باب محروسة ويقفع عادة بالقرب من قصر الحاكم، " انظر الخروج الثاني : لا يدرسونه لنا في بلاد العرب، اليهود العرب عالم تم محوه وصفحات أزيلت من كتب التاريخ بقلم سام برنر المجلد الأول، المغرب العربي ص 8". وأصل تسميته بالملاح يعود إلى عهد المرينيين في الثلاثينيات من القرن الخامس عشر الميلادي حيث كان موقع عند مدخل مدينة فاس تجمع فيه مادة الملح قبل توزيعها فكان الموقع أول تجمع خاص باليهود و منذ ذالك الحين تم تعميم مصطلح الملاح ليتم تداوله بين الأوساط المسلمة و اليهودية كحي محاط بأسوار عالية له بابان في غالب الأحيان يقطنه اليهود ... و قد ساهم الملاح في الحفاظ بشكل كبير على الخصوصية اليهودية لمئات السنين وقد عرفت مدن مغربية أخرى الملاح بعد فاس فكان لمراكش ملاحها الذي بني في أواسط القرن السادس عشر الميلادي و كان لمكناس ملاح مشهور و للصويرة ... في زمن السلطان محمد بن عبد الله كان لها هي الأخرى ملاح اكتسب شهرة و صيتا نظرا للدور الاقتصادي الذي كان يلعبه آنذاك و كانت ملاحات أخرى لا تقل أهمية بالرباط و سلا و تطوان و وزان ...، أنظر الحي اليهودي أو " الملاح " في الذاكرة اليهودية المغربية، عساسي عبدالحميد، الحوار المتمدن-العدد: 1717 - 2006 / 10 / 28 - 07:06 ، المحور :دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات .

1. تعليم الدراسات العبرية في الجامعة المغربية:

يعد المغرب من الدول التي تتميز بالتعدد اللساني وتنوعه. فإلى جانب اللغة العربية الفصحى التي هي اللغة المعتمدة في أغلب المجالات العلمية في التعليم العالي، اقترحت وزارة التعليم العالي برنامجا يعتبر مدخلا لتدرس اللغة العبرية بالنسبة لطلبة السلك الثاني من الجامعة، حيث لم يتعد الغلاف الزمني المخصص لذلك ساعتين أسبوعيا. ونستطيع القول أن تدريس العبرية في المغرب عرف مرحلتين أساسيتين:

أ. المرحلة الأولى:

تعد بداية الستينات من القرن الماضي، بداية ومهد الانطلاق، إذ شهد برنامج تدريس اللغة العبرية تغييرا ملحوظا خاصة في جامعة محمد الخامس بالرباط، وبعد ذلك في جامعة فاس[3] سنة 1965. ورام هذا البرنامج تعريف طلبة اللغة العربية وآدابها بتقاليد وتاريخ وأدب المشرق، بيد أن تدريس هذه اللغة (العبرية) كان ثابتا ومحدودا، حيث اقتصرت الدروس على تعليم أبجديات اللغة العبرية وبعض قواعدها الأساسية فقط.

ومنذ تم اعتماد تدريس اللغة العبرية بجامعة الآداب بالرباط سنة 1975، ناضل الأستاذ أحمد شحلان[4]، من أجل تعميم تدريس هذه اللغة وثقافتها في العديد من الجامعات المغربية، وفي سبيل تحقيق مرماه هذا، ظل يتنقل بين الجامعات من الرباط إلى مراكش إلى وجدة ثم إلى أكادير، على الرغم من الظروف الصعبة والعوائق الكثيرة التي اعترضت مساره، والمتجلية أساسا في العدد المرتفع للطلبة.

وأمام هذه الأوضاع، اهتدي كذلك لتدريس العبرية لطلبة شعبة الدراسات الإسلامية، مع مراعاة تغيير في طرق تدريسها لتتلاءم مع الشروط البيداغوجيا – لهذه الشعبة– ، التي تروم بالأساس تحقيق هدف تعلم وإتقان لغة سامية أخرى، غلى جانب اللغة العربية[5].

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أن هاته اللغة كانت مقررة كمادة اختيارية إلى جانب لغات شرقية أخرى من قبيل الفارسية والتركية، بل وتمت برمجتها (العبرية) كذلك في الجامعات العتيقة كما هو الحال في دار الحديث الحسنية بالرباط.

وتبقى من أهم الدوافع الأساسية وراء تدريس هذه اللغة في هاته المؤسسة:

- الانفتاح أكثر على المقاربة الحديثة للفكر الديني
- برمجة دروس في علم اللاهوت في المستوى الجامعي، (جزء منها مُكرس للعبرية)، تُعنى بالمقارنة بين الأديان وذلك من أجل تمكين الطلبة من معالجة النصوص التراثية والمقارنة بينها.

ب. المرحلة الثانية: الوضعية الحالية لتدريس اللغة العبرية في الجامعة.

استمرت الجامعة المغربية في ضمان تدريس اللغة العبرية، حيث بلغ عدد أساتذتها اثنا عشر أستاذا في مختلف الجامعات مع اعتماد نظام (إجازة، ماستر، دكتوراة). وهي لا تشكل سوى مادة ثانوية إلى جانب لغات أجنبية أخرى كالانجليزية والفرنسية والاسبانية والألمانية، والجدير بالذكر أن عملية تدريس هذه المادة تطبعها مشاكل عديدة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- نقص الكتب والوثائق التي تُعنى بهذا الموضوع بالخزانة الوطنية بالرباط خاصة، وفي مختلف الخزانات البلدية والوطنية عامة.

[3] شحلان أحمد، 2009

[4] متخصص في الفلسفة اليهودية والإسلامية في العصر الوسيط في العالم الإسلامي، وقد كتب العديد من الكتب حول اللغات والثقافات والحضارات الشرقية. وهو من الخبراء القلائل، الذين اهتموا بالتراث العبري اليهودي بالمغرب، حيث حفر بحرفية الأكاديمي في هذا التراث، الذي يعد مكونا أساسيا في النسيج الثقافي والهوية المغربية،

[5] هاتان اللغتان تمثلان نموذجا للغتين تشتركان في الأصول نفسها، وذلك نظرا لانتمائهما لمجموعة لغوية واحدة تسمى باللغات السامية.

- غياب شعبة خاصة تُعنى باللغات وآداب المشرق، رغم الاهتمام البالغ الذي يُبديه ثلة من الطلبة بخصوص تَعلُّم هذه اللغة، ناهيك عن اهتمامات الباحثين وإمكانيتهم العلمية والمعرفية، التي تتجاوز أحيانا إعطاء دروس في اللغة إلى إعطاء دروس في ثقافة هاته اللغة وتاريخها، ونأمل أن لا يؤدي الإصلاح الجامعي المنبني على نظام الوحدات إلى إقصاء تعليم وتدريس هذه اللغة.

في المقابل، اعترف الدستور الجديد لسنة 2011 بالتعدد اللغوي والهوياتي معتبرا التراث اليهودي مكونا وطنيا وملكا لجميع المغاربة.

وفي سنة 1994، تأسست الجمعية المغربية للدراسات الشرقية (A.M.E.O)، التي ضمت جميع مدرسي اللغات الشرقية: العبرية والفارسية والتركية ...وترأسها الأستاذ أحمد شحلان.

وقامت هذه الجمعية بالعديد من الأنشطة العلمية المكثفة التي تُعنى بالدراسات واللغات الشرقية في مجالات التاريخ واللغات والحضارات، وما شهد على ذلك تنظيم العديد من الندوات في مراكش وفي جامعات مغربية أخرى، ونشرت غالبية هذه الأعمال في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وكان ميلاد أول إصدار لها السنة 1997.

وشكلت كل هذه النقاشات والحوارات موسوعة علمية ضمت جميع المجالات:

الدراسات التاريخية والنقدية القديمة والحديثة والبحوث الأثرية (الحفريات) المشرقية، إضافة إلى نحو وتركيب اللغات السامية والتشريع والإنتاج الأدبي المشرقي العتيق والتصوف اليهودي والإسلامي، حيث أكد ثلة من الباحثين أن هذا المجال لا زال خصبا يحتاج إلى دراسات في مجالات: اللسانيات وفقه اللغة وعلم الآثار والتاريخ والفلسفة وعلوم أخرى ...

وتروم هذه الدراسات (العبرية) دراسة التراث الثقافي اليهودي المغربي، وذلك بغرض التعريف به داخل أوساط المثقفين والمؤرخين والجامعيين، بله جميع المغاربة.

وفي هذا الاتجاه، تندرج المقدمات والمداخل التي قام بها العديد من الأساتذة، وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد شحلان الذي ترجم إلى العربية إحدى كتب الأستاذ حاييم الزعفراني " ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب[6]" وكتاب محمد كنبيب "اليهود والمسلمون بالمغرب[7]" وكتاب "يهود درعة[8]" لأحمد توفيق، وكتاب محمد المدلاوي "صورة المغرب في بعض المكتوبات العبرانية واليهودية[9]"، هذا بالإضافة إلى بعض منشورات الباحثين والمؤرخين المسلمين التي تندرج في الموضوع نفسه.

وجاءت هاته الدراسات إغناء ونفضا للغبار عن الدراسات اليهودية المغربية وبعض دراسات اليهود الآخرين.

[6] أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، 1987

[7] اليهود والمسلمون بالمغرب (1859-1948) مساهمة في تاريخ العلاقات بين الطوائف بدار الإسلام

[8] أحمد توفيق يوليوز 1976 ص 160

[9] محمد المدلاوي ، 2004

ومن أهم الأهداف والمرامي التي تسعى إلى تحقيقها هاته الدراسات نذكر:

- الولوج المباشر إلى مصادر عربية تهتم بالدراسات العبرية، سواء كانت مطبوعة أو عبارة عن مخطوطات.
- استكشاف مجال بحث أصيل في المغرب والعالم الإسلامي، يُعنى بمقاربة النصوص التراثية، تبعا لقواعد علمية أكاديمية صارمة.

على الرغم من كثرة هذه الدرسات التي عُنيت بالثقافة اليهودية المغربية في السنوات الأخيرة، إلا أن بعضها تنقصه القواعد العلمية الصارمة، فهي لا تعدو إلا أن تكون مذكرات فولكلورية شعبية تُصور الحنين إلى الماضي، ولا يعتبر المغرب سوى محج سنوي لليهود المغاربة عبر العالم، يقدمون من خلاله الولاء ويبجلون "القديس" أو ما يُعرف بالولي الصالح، بمناسبة الهيلولا[10]، (كالحاخام عمرام بن ديوان بوزان).

لذا وجب تطوير (وإعادة النظرة الخاصة) الدراسات العبرية المغربية من أجل التأكيد على أهمية المجتمع اليهودي في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدولة.

وقد لعب اليهود في المغرب آنذاك، وقبل رحيلهم إلى أرض الميعاد فلسطين سنة 1948، دورا مهما في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمغرب[11]، ونذكر من هؤلاء تجار السلطان[12] والحرفيون[13] والمستشارون والتجار وصائغوا الذهب والفضة وأرباب طبع وصك النقود والصقلي.

وقد تناولت العديد من الكتب العلاقات بين اليهود والمسلمين، من قبيل كتابات الأستاذ 'ميشال أبيتبول'، الذي أسهب في الحديث عن التأثير الذي كان يمارسه التجار في الحياة الاقتصادية المغربية عبر ظهائر ملكية، حيث عمل هذا الباحث على رصد وتحليل طبيعة وخصائص اليهود التي كانت تجمعهم بالسلطان خلال القرن 19[14]. ويضم أرشيف القرن 19 (2400 وثيقة تجارية من بينها 2200 بالعبرية والعربية)، كما عُثر بفاس سنة 1997 على وثيقة تعالج مختلف الأنشطة الاقتصادية لبعض اليهود بهذه المدينة، كعائلة الصّراف ما بين 1850 و1930[15].

وما سيأتي في هذا المقال من مصادر يمكن أن تشكل بتظافرها مع ما عندنا من مصادر عربية مصدرا للمعلومات والمراجع حول الدراسات العبرية واليهودية.

2. الإنتاج الأدبي العبري:

أنجب الوسط اليهودي المغربي العديد من الشخصيات في مجالات متعددة، دكاترة في القانون والآداب والتاريخ وعلماء، ومن هؤلاء نذكر جاكوب بن سير[16] وابن عطار[17] وأبرهام أنقوا[18] ... وقد تميز اليهود بإنتاجاتهم الأدبية في مختلف المجالات كالنصوص والآداب الحاخامية والإنشادات أو المنشودات (الأشعار الطقوسية) وكتب التاريخ والفلسفة دون احتساب العديد من الكتب والمخطوطات التي ضاعت.

[10] وهي الزيارة التي يقوم بها اليهود كل سنة لمقابر الأولياء والصالحين المحليين وأصحاب المعجزات أينما كانوا. ومن أشهر الأولياء المغاربة المشهورين، عمرام بن ديوان وداوود ادراع وداوود الأشقر المسمى بمولاي ايغي. انظر ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ثقافة، تاريخ، دين، ص 116.

[11] سعاد الكتبية، 1992

[12] تجار السلطان أو 'محاوروا الملك' مفردها تاجر، وهم طبقة عالية من اليهود يعينون بظهير شريف، لعبوا دورا مؤثرا في الاقتصاد المغربي إبان عهد الجماية المغربية، حيث كانوا يسهلون التجارة بين المغرب وأوربا. ومن أشهر هذه العائلات اليهودية التي كانت مقربة للسلطان مولاي عبد الرحمان: عائلة كوركوز في الصويرة والتي كان استقرارها بهذه المدينة برغبة منها. واستقر كل هؤلاء التجار خلافا لكل اليهود بالقصبات، وهو المكان الذي يقطنه المقربون من المخزن.

[13] المؤرخ نيكولا سيرفاتي " 1999.

[14] ميشال أبيتبول، 1994.

[15] يوسف الطوبي، 2004.

[16] جاكوب بن سير، 1893.

[17] الحاخام جودا ابن عطار 2003.

[18] أبرهام أنقوا بن موردخاي: ولد سنة 1810 بسلا من أسرة ذات أصول قشتالية (اسبانية) واستقرت بتلمسان بالجزائر، ثم التحق بوالده في سلا الذي كان رئيسا للجماعة. وشغل أنقوا منصب الديان (قاضي) بمدينتهن ثم بعد ذلك بالجزائر وتونس وليفورن، التي طبع فيها العديد من كتبه، ومن بينها إحدى كتبه "كرمة العنب" الذي ضم الابتهالات (المنشودات) الشعرية القشتالية.

أحصى الحاخام يوسف بن ناعيم (1882–1961) وهو أحد أحبار فاس في كتابه " مالكي ربان (معجم المصادر والمراجع) العديد من الحاخامات المغاربة، ما يزيد عن 1406 اسم يهودي والذين أنتجوا العديد من الكتب والأعمال الأدبية، و 883 حاخام وعالم يسمون "بالملوك الشرفاء".

كما أكد الأستاذ يوسف تيدغي في كتابه "الكتابة والطباعة العبانية بفاس" على أهمية الإنتاجات الأدبية، وأقر كذلك على أن افتتاحيات الأعمال لدى الحاخامات تعادل أحد التعاليم الدينية. واختار يوسف تيدغي دراسة المجتمع اليهودي بفاس الذي تميز بوجود ثلة من المفكرين، حيث تغطي إنتاجاتهم الأدبية التخصصات التقليدية من قبيل: تفسير الكتاب المقدس والتلمودي، تعليقات صوفية، أعمال الفقه، الأناشيد/ المنشودات (مجموعات شعرية) ... إلى جانب العلوم الطبيعية والفلسفة و الفلك والطب والرياضيات.

ويمكن تقسيم هاته الإنتاجات إلى فئات مختلفة:

1. سجل المجتمع المدني:

ويتضمن هذا السجل معلومات حول الضرائب والاتاوات المفروضة على الجماعة اليهودية لتغطية جزء من التكاليف الاجتماعية لمساعدة المعوزين والفقراء، كما يتضمن كل ما يتعلق بالتمويل والإدارة المالية والحياة الدينية والاجتماعية ...

2. أدب صنع القرار "السلطة" (الأوامر):

هذا الجزء من القرارات الربانية جمع في سجل القرارات للحاخام الأكبر 'أبرهام أنقوا' في كتابه "كرمة العنب 2 (كريم حمير)" الذي طبع في ليفورنو سنة 1871، وأخذت هذه التعاليم (taqqanot) من "سفر التقنوت" لموشي بارعاشر، الذي طبع في القدس سنة 1990.

وقد سجلت مجموعة من هذه القرارات في المجموعات التالية):

- توكفوشيل يوسف ليوسف المالح بارشي عيوش (ليفورنو 1و2، سنة 1855، 1و2 سنة 1823).

3. الكتب والأعمال التاريخية:

تقدم معلومات غنية حول نظام المجتمع اليهودي المغربي والعالم الخارجي بالنسبة للملاح، ومن هذه الكتب نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- فاس وعلماؤها لداود أوبدياه، القدس 1979.
- جماعات صفرو للكاتب نفسه، القدس 1880.
- كتاب التاريخ لشاول سيريرون ترجمة يوسف فايدا، تحت عنوان "تلاقي النصوص التاريخية العبرية المغربية"، وترجم النص من العبرية إلى العربية الأستاذ عبد العزيز شهبار أستاذ اللغة العبرية بكلية الآداب بتطوان ومدير وحدة البحث "تاريخ الأديان المقارن".
- تأريخ ديبدو لويال شيلومو (مجموع القرارات) الدار البيضاء، 1929.
- تاريخ اليهود المغاربة في اليهودية العربية، عبدو داوود العدد 1، الدار البيضاء 1953.
- تاريخ اليهود المغاربة، ج. توليدانو، القدس 1911.

- تاريخ اليهود المغاربة، شعبة التربية والثقافة، وزارة التربية الوطنية القدس 1962.
- اليهودية المغاربية، حاييم زييف، هيرشبيرغ، القدس 1957.
- تاريخ يهود شمال افريقيا، العدد 1، من القدم إلى القرن السادس عشر.

4. مجموعات شعرية:

ذكر حاييم الزعفراني في كتابه "الشعراليهودي في العالم الإسلامي" ، باريس 1997، ما يناهز 47 عملا شعريا مطبوعا و37 أخرى عبارة مخطوطات.

وفي الواقع هذا النمط من التعبير أيا كان نوعه شعريا مدنسا أو دينيا عد مثمرا أكثر بل ومهما في الإنتاج الأدبي للأدباء والشعراء المغاربة.

اشترك اليهود والمسلمون في الثقافة الشعبية: الأغاني والأمثال الشعبية وشعر الملحون كقصيدة المحبوب، وقد قيل هذا الشعر بالدارجة المغربية، وسنعرض بعض المقاطع التي كتبها بعض اليهود المغاربة بالكتابة العبرانية والتي تغنى في الأوساط المغربية:

- كيف ايواسي اللي فرق محبوبو وابق بلا عقل افريد
- كيف جفاني احبيب قلبي ما خلا غير صورتو وانعاتو واخيالو
- أمل لا عمري انظرت زين فلبدور بحالو

ومن العائلات الأدبية والشعرية عائلة ابن دنان وابن سور وسيرور ويعقوب بيرديكو ... والكتب الشعرية لعائلة ابن سور (يعقوب، مويس، شالوم) وقد جمعت وطبعت بالاسكندرية سنة 1983، وهي:

- وقت لكل شيء
- صناجات مدوية
- أنشودة جديدة

ومجموعات أخرى مثل:

- "روحي مكرسة إلى الحبيب"، ابن كلفون الدهان (القرن 20/19، تافيلالت)ن طبع بالدار البيضاء سنة 1944.
- "مختارات شعرية"، داوود حسين، الدار البيضاء 1931 وأمستردام 1807.
- "من مثلك"، يديداه مونسونيكون، فاس، توفي سنة 1868.

يؤكد السوسيولوجيون والمؤرخون والباحثون، خاصة اليهود من أصول مغربية أن هذه النصوص غنية بمعلومات حول تاريخ اليهود بالمغرب، ومن بين الدراسات التي تسير في هذا الاتجاه والتي اهتمت بالشعر العبراني في المغرب والشعر العبراني العربي في شمال افريقيا الأبحاث التي قام بها يوسف شتريت.

ومن بين هذه الدراسات نذكر:

- "الشعر الشخصي والاجتماعي العبري العربي لليهود المغاربة" ميقديم يومييام، 1981، ص ص 185-230.
- "الشعر الشخصي والاجتماعي التاريخي لشلوم هاليوا (مكناس ق 18) وتقاليد وخطاب الشعر العبراني في المغرب"، ميقديم يومييام،4، 1991 ص 25-111.
- "أشعار (منشودات) وأدعية (ابتهالات) اليهود المغاربة" تل أبيب 1991.

تشكل كل هذه الكتابات مصدر معلومات قد تمكننا من معرفة الحياة الداخلية للمجتمع اليهودي: بنيته الاجتماعية وتاريخه وعلاقاته مع الوسط الإسلامي، كما تمثل وثيقة مهمة تؤرخ للأحداث التي حدثت في العالم الإسلامي لذا قد يكون من المحتمل أن يكون هذا هو الحافز والدافع وراء اهتمام المؤرخين المغاربة بالمجتمع اليهودي.

وبالتالي فتدريس العبرية يتجاوز الفائدة اللغوية للغة سامية أخرى، إنها وسيلة مهمة ليس فقط للبحث العلمي، ولكن كذلك لفهم التاريخ الوطني.

3. مكان الحفاظ على الثرات والتقارب الثقافي اليهودي الإسلامي:

شكل اليهود منذ تواجدهم بالمغرب موروثا ثقافيا غنيا، إذ تشهد العديد من المنشورات على حيوية ثقافتهم ومساهمتهم في الموروث المغربي، رغم احتفاظهم ببعض مواصفاتهم الخاصة، وهذا لا يدل بدون شك إلا على التعايش السلمي بين اليهود والمسلمين: هذين المجتمعين كانا قادرين على تطوير الاحترام المتبادل والمتعاون المتسم بروح التسامح في وجوه متعددة.

كل هذه الروابط الخاصة والتاريخ الطويل المشترك والسلمي لهذين المكونين للمجتمع المغربي استحضرت كثيرا في مصادر يهودية ومسلمة.

وقد قامت جمعيتنا (الجمعية المغربية للدراسات الشرقية) منذ سنوات، بالعديد من المشاريع، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

- إعادة كتابة بعض أعمال الكتاب اليهود في القرون الوسطى باللغة العربية، والتي كانت مدونة في الأصل باللغة العبرية.

ورمنا من هذا المشروع تحقيق هدفين أساسيين:

أ. جعل هذه الكتابات متاحة لعدد كبير من القراء والباحثين المغاربة.

ب. إبراز التقارب الفكري بين المفكرين والعلماء، خاصة ابن رشد وابن ميمون والغزالي وجودا هليفي ومروان ابن جناح[19] ... وآخرون عاشوا في الفترة الذهبية للأندلس.

ومن المهم أن نشير إلى أن المجتمع المغربي اليهودي، عرف أزمات اقتصادية وسياسية حيث لم يسلم منها حتى المسلمين، ورغم ذلك (وعلى العموم) فقد عاش اليهود والمسلمون مجتمعين في تعايش مستمر.

وكان اليهود في القديم يعرفون «بالذمي" أو أهل الكتاب، وقد تمتعوا بكامل حرياتهم في العبادة مقابل دفعهم للجزية، وقد طبقت هذه الضريبة حسب الوضعية السياسية والاقتصادية والمالية للدولة.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هذه الضريبة ضمنت الوحدة الدينية والقضائية والثقافية والإدارية، وفي المقابل عرف إخوانهم من اليهود بالغرب المسيحي اضطهادا بيد أن بعض الكتاب اليهود حاولوا تشويه صورة المغرب بجردهم لبعض الأكاذيب حول الاضطهاد الذي لقيه اليهود إبان عيشهم في المغرب.

استعادة الذاكرة:

[19] حبر وطبيب ولغوي ومؤلف يهودي أندلسي عاش في القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي.

يطالب تاريخ المغرب في الزمن الحاضر، بتأصيل اليهودية في الواقع المغربي ومساهمتها في الموروث الوطني.

ويعد المغرب – إلى جانب تركيا – الدولة الوحيدة الإسلامية والتي تحوي متحفا مكرسا لتاريخ اليهود الوطنيين. ويشهد هذا المتحف على تقارب المجتمعين وفي نفس الوقت أيضا يعد فضاء للتكوين وللترويج، وحافظا للثرات والثقافة اليهودية المغربية. إذ نسجل في هذا الصدد بأن وزير الثقافة والتعاون سهر على ترميم ثلاث من أقدم البيع (كنائس اليهود) بفاس. وقد رحبت إدارة الدولة الأمريكية في تقريرها السنوي حول الحريات الدينية المنشورة في 20 ماي 2012، بمبادرة الحكومة المغربية المتخذة لتشجيع التسامح والتعايش بين الأديان.

وفيما يتعلق بالتدريس، فقد سجل التقرير أيضا أن الموروث الثقافي الأدبي الفني العلمي اليهودي، درس في بعض الجامعات، وبخاصة في جامعة الدراسات المقارنة الدينية وتعلم اللغة العبرية، في شعبة الدراسات الإسلامية بالرباط

ومن الواجب التذكير أن للأحداث التي حدثت بالعالم أجمع، (نشأة دولة إسرائيل سنة 1948 و استقلال المغرب سنة 1956)، كان لها الوقع الكبير، إذ اهتزت على إثرها حياة اليهود في المغرب، وعجلت بهجرتهم.

ولم تكن تشكل هجرة اليهود قطيعة بينهم وبين موطنهم الأم والأصلي، فتقاليد أجدادهم وعاداتهم لا تزال محفورة في قلوبهم، وهو الأمر الذي دفعهم لكتابة كل ما يتعلق بتاريخهم وحضورهم للألفي سنة في المغرب تحت اسم "حق صيانة الذاكرة".

في هذا الإطار قام مركز البحوث حول اليهود في المغرب، بإحداث منبر خاص بتاريخ المغرب واليهود المغاربة، في الجامعة العبرية بالقدس تحت إشراف الأستاذ ميشال أبيتبول المدير العلمي للمركز، وقد عقد هذا المركز شراكة مع الأكاديمية الإسرائيلية للغة العبرية، والتي يترأسها موشي بارعاشير، بهدف تشجيع كل الأبحاث والدراسات التي تهم المخطوطات اليهودية المغربية.

خاتمة:

قبل الختم نقترح بعض المقترحات:

- ضرورة إنشاء وفتح موقع الكتروني خاص بالجمعية المغربية للدراسات الشرقية المعروفة اختصارا (A.M.E.O)، والذي يمكن الاستفادة منه عن بعد، بهدف التعريف بالأعمال والأنشطة الثقافية السنوية (منشورات، ندوات، موائد الحوار ...).

- إنشاء بنك للمعلومات حول الأعمال التي نشرها اليهود أنفسهم أو التي نشرها بعض الباحثين المغاربة، من قبيل السوسيولوجيين واللسانيين....

- من الواجب أن تحتل الدراسات اليهودية بالمغرب مكانا هاما يليق بها، أضف إلى ذلك ضرورة تقديم دروس حول تاريخ وحضور اليهود بالمغرب، ومعرفة القيم التي يتشاركها المسلمون واليهود.

- من المهم منح مكان ووقت أكثر لتدريس اللغة العبرية، وهذا ما يمكننا من إدماج وفهم مكون أساسي من مكونات الهوية الوطنية، وبالتالي سيمكننا من الانفتاح على العالم والتفاعل مع التنوع الثقافي واللغوية لهذا البلد.

- يجب عقد شراكات مع الباحثين والمعاهد الأكاديمية المختصة كالخزانات والجامعات ... بغية تواصل واستمرارية الأبحاث في الثرات الثقافي المغربي.

تلخيص:

إن الهدف من هذه المقاربة هو استجلاء مختلف مراحل تطور الدراسات العبرانية واليهودية في المغرب، خاصة تدريس اللغة العبرية في الجامعة المغربية، وفي هذا الصدد يمكننا التمييز بين مرحلتين أساسيتين:

- النصف الأخير من القرن 20: وهو تاريخ بداية هذه الدراسات، وبخاصة دراسة اللغة العبرية في التعليم العالي، وكانت الدوافع كالآتي:

✓ تمكين الطلبة من إجراء مقارنات بين اللغتين الساميتين العربية والعبرية.

✓ زيادة الوعي بفقه اللغة الذي يعنى بالنصوص المقدسة والتاريخ المقارن للديانات الثلاث، في أفق تسجيل انفتاحات أكثر على المقاربة العصرية للفكر الديني.

- مع تطابق الدراسات العبرية مع نظام (إجازة، ماستر، دكتوراة) ونظام الدراسات الجامعية حسب الوحدات، نسجل تراجعا في الحصص المخصصة لتدريس العبرية، فهي لا تعدو إلا أن تكون مادة ثانوية واختيارية إلى جانب لغات أجنبية أخرى.

منذ تأسيس الجمعية المغربية للدراسات الشرقية المعروفة اختصارا (A.M.E.O) سنة 1994، فقد قام بأنشطة علمية لا تمس فقط ما يتعلق بالعلاقات مع لغات أخرى وحضارات أخرى في المشرق، بل أيضا تمس دراسة ثقافة اليهود في المغرب.

وقد اعتمدنا طريقة تأخذ بعين الاعتبار إنتاج هذه الجماعة ومساهمتها في الموروث الثقافي المغربي مع الاحتفاظ ببعض خصائصها.

لنصوغ بعد هذه المقاربة بعض المنظورات من أجل مستقبل هذه الدراسات اليهودية والعبرية في الدراسات العليا.

المصادر والمراجع:

شحلان أ، 2009 *اليهود المغاربة من منبث الأصول إلى رياح الفرقة*، الفصل الرابع، صص، 151 – 176، الرباط، المغرب.

توفيق أ، يوليوز 1976 "*بعض جوانب تاريخ المغرب الاجتماعي في القرن 19* ، ص 160" ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ، المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

الطوبي ي، 2004 *أرشيف الصراف، وثيقة عبرانية حول مؤسسة الأرض الطيبة التابعة للمعوزين*، صص 219–226، من كتاب حضور اليهود في المغرب تأبينا لحاييم الزعفرانين تحرير نيكولا صيفاتي وجزيف تيدغي، منشورات بوشين.

الزعفراني ح ، 1987 *ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ثقافة، تاريخ، دين*، ترجمة أحمد شحلان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، المغرب.

أبيتبول م، 1994 *تجار السلطان، النخبة الاقتصادية اليهودية المغربية في القرن 19* ، القدس معهد بن زفي.

الكتبية س، 1992 *مساهمة الصَّاغة اليهود في حرفة الحُلي بالمغرب من القرن العاشر إلى النصف الثاني من القرن 20*، باريس فرنسا إشراف الأستاذ حاييم الزعفراني.

المدلاوي م 2004، *صورة المغرب في بعض المكتوبات العبرانية واليهودي* ع 111، ص 61- 96 جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب.

سيرفاتي ن، 1999 *"الحرفيون اليهود عند السلاطين المغاربة في القرنين 13 و 14"* باريس.

اليهود والمسلمون بالمغرب (1859–1948) مساهمة في تاريخ العلاقات بين الطوائف بدار الإسلام.